رواية
همسات أخيرة
HAMASAT AKHIRA
شيغالي لحبيب

رواية

همسات أخيرة

HAMASAT AKHIRA

شيغالي لحبيب

تنبيه

كل شخص يقوم بطبع هذه الرواية بغير إذن خطي من الكاتب سوف يعرض نفسه للمحاسبة القانونية، جميع الحقوق محفوظة للكاتب شغالي لحبيب .

إهداء

إلى كل من فقد شـــيئا عزيزا على قلبه لك مني هذه الكلمات لكي تكون مفتاحا لسعادتك.

المقدمة

كل شــخص في هذه الحياة يعيش قصــة وفي كل يوم تحمل لنا الحياة قصــصــا جديدة مع أشــخاص جدد وهذا ما جعلني أجمع تلك القصـــص المجتمعية المأخوذة من الواقع و أجمعها تحت هذا العنوان (همسـات أخيرة) ، نحن نؤمن كثيرا بالصـدف ولكن لا وجد لكلمة صـدفة في القاموس بل هناك أقدار لذالك علينا الإيمان بمشيئة الله وأقداره فهو لن يبتلينا بشـــيء إلى من أجل مصـــلحتنا لأنه جل جلاله أدرى بها فهو العليم الحكيم .

الفصل الأول

في بعض الأحيان قد نحب بدون أن نشـعر كيف أحببنا ولا كيف وقعنا في الحب أصـــلا فعندما نحب يعمينا الحب عن من نحب فالحب ليس بجمال من نحبهم وليس بأناقتهم ولا ببرائتهم بل الحب بقلوبهم ، لقد طرقتي بابي دون موعدٍ مُسبق وجعلتي قلبي يخفق شغفا لكِ هل تذكرين كيف كنت أحبكِ هل تذكرين كل شـيء قد قلته لكِ ،هل تذكرين تلكَ الأيام التي قضـــيناها معا وكل تلك الضـــحكات والهمســـات والأحاسيس و كل تلك المشاعر التي كنا نتبادلها معا ،إعلمي جيدا أنني لا أُذكركي بها لأنني إشـتقت لك بل أذكركِ بها حتا أنسـاكِ والأن سـوف أعود بكِ إلى ما قبل ستة أشهر هل تذكيرن ذالك اليوم عندما جلستي بقربِ وبدأنا في تبادل الحديث لم أســتطع أبدا أن أنطق بأي كلمة فأنا شــخص هادئ للغاية بطبعي وفي ذالك اليوم كنت أصــغي إليكِ بكل شـغف و لم أدري في ذالك اليوم لماذا كنت أصـغي إليكِ بهذا القدر هل هو الحب أم أنه من الأدب أن تنصــت إلى غيركَ حين يتحدث و لم أفهم نفســي في ذالك اليوم لماذا لم تفارقي تفكيري لماذا لم أنم في تلك الليلة لماذا كان يقتلني الشـوق إليكِ مع أنه لم تنقضـي إلى دقائق معدودة على تعارفنا ،كنت أريد فقط أن أراكِ وألقي عليكِ الســلام يكفيني أن أســمع صـوتكِ حتي أشـعر بأن روحي قد فارقت جسـدي وأنها تطير بعيدا مع روحكِ،هل تذكرين ذالك اليوم عندما كنت في انتظارك لكي نذهب معا، ألقيت بقصيدة حتى أتغزل بكِ كما كنت أفعل دائما.

من أنتِ من أنتِ بالله عليكِ كيف أتيتِ

من عالم ثانٍ من بعدٍ ثانِ من كوكبٍ ثانٍ أتيتِ

محتارٌ وأنا أنظر إلى شفتيكِ

محتارٌ وأنا أنظر إلى بعدينِ

لغزُ أنتي أم متاهة

من قال أنكِ من جنسنا

مم قال أنكِ من بُعدنا

غريبتٌ أنت فتنتِنا

آتيتِ من مجراتً أخري

من أبعادٍ أخرى

فمن أنتِ

نطقَ الجمال باسمكِ

نطق الكونُ بإسمكِ

نطقتْ الحياة بسمكِ

فمن أنتِ .

شغالي لحبيب

كنتي بتلك البرائة التي أعمتني عنكِ وجعلتني أصـــدق بأنكِ لم ترتكبِ أي خطيئة في حياتكِ فنحن حين نحب بصـــدق لا نرى عيوب من نحبهم لأن العشــق يعمينا ، كم كنتُ أحببتكِ إلى أن نفســي من نفســها كانت تتعجب ،لأن سوف أنتقل بيكِ إلى مكانٍ أخر .

بعيدا عن قصـــتنا هل تذكرين محمد صـــديقي الذي أخبرتكِ عنه وبأنه أقرب صــديقٍ إلي فلولا تلك النصــائح التي كان ولا يزالُ يعطيها لي كنت ســأرتكب الكثير من الحماقات مع أنه أولى برتكابها مني فنحن نقيضــان أنا شـخص هادئ للغاية و هو شـخص صـاخب للغاية و دائما ماكنا على خلافٍ في وجهة النظر ، محمد كان ولا يزال أقرب صديقٍ لي فهو الصديق الذي أجده بقربي عندما يفر الجميع.

والأن يكفيكِ ما قد أخبرتكِ به حتى تتعرفي على محمد ، أنتصــتِ جيدا أنا لا أكتب عنكِ لأنني إفتقدتكِ بل أنا أكتب لكي أنســاكِ و لكي أنســى كل تلك اللحظات لتي جعلتيني أبدوا فيها غريبا وضـــعيفا و التي كنتُ فيها ســـخيفا ، لقد كنت أظن بأنني أحبكِ ولكن مع مرور لأيام ظهر لي العكس تماما و كنت أظن بأنكِ ســـوف تدافعين عن قلبٍ مثلما كنت أفعل معكِ ولكن للأســـف لم تفعلي ،هل تذكرين ذالك اليوم عندما أشـعلت نار غيرتكِ عندما كنا جالسـين فأمعنت النظر في الفتيات اللاتي كن بقربنا فأزعجكِ ذالك الأمر.

فصـــرختي في وجهي وقلتِ: كيف تنظر إلى فتاة أخرى غيري كيف تنظر إليهن وأنا بقربك أنت لي وحدي هل سمعتني .

فأجبتكِ بصوت بارد وبنظرات جامدة: وهل أستطيع أن أكون لسواكِ أنا لكِ وأنتِ لي

فأجبتني: إذا دعنا نغادر للمكان فأنا لم أعد أحتمل الجلوس هنا

دعيني أعترف لكِ بالحقيقة في ذالك اليوم لم أنظر إليهن بغير قصد كما أخبرتكِ حينها بل فعلتها فقط لكي تغاري قليلا وصـــدقيني لقد كان الأمر مخيفا .

مع أنني كتبتُ الكثير من القصائد والكثير من النصوص عن الحب ولكن أنا أجهله فلم أجربه قبل أن تدخلِ حياةِ مع أن الأســـتاذة عائشـــة كانت دائما تحدثني عنه وتقول بأنه أجمل شـعور قد يشـعر به الإنسـان فهي كانت دائما تصـــحح لي الأخطاء اللغوية التي كنت أرتكبها في كتابتيِ للنصـوص وكانت بنسـبة لي مثل الأخت الكبيرة ، أعلم بأنني لم أخبركِ بها من قبل ولكن قصتها طويلة ولقد حان الوقت حتى تعلميها.

هي إمرأة في عقدها الثالث طيبة للغاية وعلى وجهها علامات الجمال السـاحر وتلك الضـحكة التي لا تفارق شـفتيها ، تعمل كمدرسـة للغة العربية في مدرسة الحكومية لقد إلتقيتُ بها في إحدى الندوات الثقافية ، وبعد فتره تعارفنا وأخبرتها بأنني من هواة الشـــعر والكتابة ومرة الأيام وصـداقتنا تكبر أكثر فأكثر ولكن لاحظت شـيئا غريبا في تصـرفاتها كانت دائما مشـــغولة البال وفي أغلب الأحيان تنظر إلى بنظرات لم أســـتطع

تفسـيرها و لم أرد سـؤالها عن سـبب ذالك الشـرود وتلك النظرات الغريبة فأنا لسـت من النوع الذي يحشـر أنفه في ما لا يعنيه ، وفي يوم من الأيام دعوتها لحتسـاء كوب قهوة ومتابعة إحدى المباريات التي كانت تعشـقها للغاية وخصـوصـا أنها مبارات الكلاسـيكو بين الريال والبارسـا فذالك هو أقل شـيء قد أقدمه لها بعد ما فعلته من أجلي ، وبعد انتهاء المبارات قالت : أعلم بأنك لا حظت شُـرودي في بعض لأحيان وتلك النظرات الغريبة التي أقوم بها عندما أنظر إليك .

فأجبت : نعم ولكن فضلت عدم السؤال لكي لا يسبب أمر لكي إحراجا

فقالت : دعني أخبرك بقصـتي وسـتفهم عندما كنتُ في الثانوية العامة إلتقيتُ بشـاب إسـمه جمال لقد أحببته للغاية وهو كذالك أحبني إلى درجت أن الجميع صـار يعلم بقصـتنا حتى الأسـاتذة ، ولكنه لم يكن يخجل من إظهار حبه لي أمام الناس بل بالعكس كان يفتخر به ، و بعد نجاحنا في الثانوية العامة إلتحقتُ بالجامعة ولكن فضـلَ هو أن يسـلك طريق التجارة فقد كان ينحدر من أسـرة غنية ومشـهورة بالتجارة ، بعد أن بلغ جمال الخامسة والعشرين كنت حينها في الثالثة والعشرين تقدم لكي يطلب يدي وافقت عائلتي ولكن بشـرط أن لا يجعلني أحزن أبدا وقد أوفى لهم بذالك الوعد ، ظننا بأن أحلامنا بدأت تتحقق فبعد شـهرين من الخطبة قمنا بحفل زفاف ضـخم للغاية حضـره القريب والبعيد والغريب و في تلك الفترة كنا أسعد شخصين في العالم مرة الأيام سريعا أنجبنا توأمين أسـميناهما عتيق و عثمان لم أكن أدري إن كنتُ أسـعد بكوني مع حبي الأول والأخير أم أنني قد صـرت أما ولكن أعتقد بأنهما

الأمران معا ، تلك الفترة من حياتي كانت هادئة للغاية وكل شـــيء بخير ولكنه كان هدوء ما قبل العاصفة ، في يوم من الأيام ونحن في الطريق إلى الشاطئ وكالعادة كنت أحمل الصغيرين و أداعبهما ، لم أدري ما حصل فقدت الوعي بكل بساطة وبعد أن إستيقظت سمعت صوت الممرضة تقول : لقد إستيقظت !!!

فقالت وأنا أستشعر جهاز قياس النبضات على أصبعي والضماضات على رأسي ماذا حصل؟ أين أنا؟

فأجابتني : سيدتي البقية في حياتك لقد قمتي بحادث

تعجبت وسألتها وأنا أبكي : زوجي و أبنائي ماذا حل بهم أخبريني أرجوكِ

قالت : للأسف لم ينجو أحد منهم لقد وصلت سيارة الإسعاف متأخرة لم نتمكن من إنقاذهم ولكن زوجكِ قبل أن يتوفى أخبر أحد المســعفين بشيء وطلب منه أن يقوله لكِ

وهو: بأنه يحبكِ للغاية وبأنه معكِ دائما حتى إذا لم تكوني ترينه فهومعكِ .

لم أســتطع التحمل من شــدة البكاء والصــدمة ففقدت وعي وبقيةُ في المشفى لمدة شهرين حتى أتعافى من الجرح الذي كان في قلبي بعد أن عرفت بأني قد خســرت كل شــيء ولكن لم أفقد الإيمانِ بالله ، وبعد أن أخبرني المفتش المسؤول عن القضية بأن مجموعتا من الشباب كانو يقودون بتهور تســببو بكل ذالك الدمار و تلك الخســارة التي ســتبقى معي حتى أخر يوم في حياتي ، لا أنكر بأنها كانت أصعب لحظات حياتى إلى

درجة أننى قد طرقت أبواب أشـهر أطباء علم النفس حتى يسـاعدوني ، مرة السـاعات و الدقائق تجاوزت تلك المحنة وبعد سـنتين من العلاج النفسـي صار وضعي مستقرا ولكن لم أنسـى ولن أنسـى تلك الخسـارة أبدا .

وعندما رأيتك في تلك الليلة تذكرت جمال عندما كنا في ثانوية العامة نفس الوجه ونفس التصـرفات وبرودة الأعصـاب و نفس طريقة الكلام ولذالك لم أتمالك نفسي وصرت كل ما سمعت بحفل ثقافي أحضر حتى أراك و أتحدث معك فحديثي معك كان يسـد تلك الفجوة التي لا زالت بداخلي لذالك دائما ما أسرح في التفكير عندما أنظر إليك .

في ذالك اليوم زاد تقديري وحترام للأسـتاذ عائشـة فهي إمرة قوية ، حتى بعد خسـارة أغلى ما كانت تملك لم تفقد إيمانها بالله وزاد ذالك من إيمانها ، وخصـوصـا أنها بقية وفيتا لزوجها و تطلب من الله في كل صـلاة بأن يجمعها معه في الجنة ، ذالك هو الحب حين تتعلق الأرواح ببعضها البعض حين لا تفقد الأمل في اللقاء حتى ولو كانت المسـافات أبعد من ما بين الأرض والسـماء فلا نفقد الأمل في لقاء من نحبهم و من تعلقت بهم قلوبنا وصـارت أرواحنا أرْواحُهُمْ وأرواحُهم أرواحنا ، نؤمن بأن الله سـوف يجمع قلوب العاشـقين في يومٍ من الأيام عاجلا أم آجلا نؤمن بحتمية اللقاء.

الفصل الثاني

لقد كنتُ أحبكِ إلى أن نفسي من نفسها كانت تتعجب ولكن اليوم أريد أن أنسى أريد أن أمسح كل ذكرى كانت تجمعني بكِ ولذالك سوف تكون هذه المرة الأخيرة التي سأتذكركِ فيها حتي أعلن عن دفن جُثمانِ حبي لكِ، نحن لا نكره قلوبا تعلقنا بها وأحببناها في يومٍ من الأيام ولكن في حالتنا كان العكس هو سيد الموقف ، فأنا لم أعد أحبكِ وفي نفس الوقت لا أكرهكِ فقط لم أعد أشعر بشيء تجاهكِ ، لقد

صارت كل مشاعري اتجاهكِ متجمدة ، يقولون بأن الفراق مؤلم ولكن فراقكِ لم يكن له أي تأثير على حياتي ولا أدري لماذا ؟ هل لأنني تعبتُ من كذبكِ أم أن بقائكِ أو غيابكِ لم يعد يحدث فارقا بنسبة لي ، صراحتا لا أعلم أي هذه الإجابات هي الصحيحة ولكنني متيقن بأنني لا أشتاق إليكِ وركزي جيدا على السطور المُقبلة لعلها تحمل الجواب

هل تذكرين بواب المدرسة ؟ شيخ أعلم بأنكِ قد نسيتهِ كما سوف أنساكِ ولكن عندما نتحدث عن الصبر والرضى بقضاء الله علينا ذكره لقد قلت له في يومٍ من الأيام : قرأت في إحدى الكتب بأن هناك بعض الأشخاص يعرفون مئة دليل على وجود الله.

فأجابني : يا بني لو لم يكن لديهم مئة شك على وجود الله لما بحثو عن مئة دليل على وجوده .

لم أســـتطع أن انطق بأي كلمة و كأني قد فقدت النطق هل هذا الرجل بكل ذالك الإيمان ؟ بعد كل ماتعرض له فلم ينقص إيمانه بل زاد ، لم أستطع أن أستوعب سوى بأن (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) ذالك هو الإيمان حقا عندما نرضـى بقضـاء الله مهما كان لقد علمني شيخ أن الإيمان بالقلوب يجعلُ أرواحنا ترتقى .

ما عاشته الأستاذة عائشة من الألم لا يضاهي ما عاشه البواب شيخ

كان شيخ ينحدرمن أسرة فقيرة للغاية حيث كان أبوه يعمل كمزارع وأمه كانت مدبرت بيت لإحدى العائلات الغنية ، تربى شـــيخ مع إخوته الســـت حيث كان هو أكبرهم وكان يعتني بهم في فترة غياب والديه ، وذالك كان من الأسباب في عدم ولوجه إلى المدرسة فكما أخبرتكِ وضع عائلته المادي مزرٍللغاية ودخلهم بالكاد يكفي حتى يسد حاجياتهم من أكل وشرب واقتناء بعض الثياب المستعملة .

مرة الأعوام ســريعا وشـيخ الأن يبلغ ســتة عشــر ربيعا كان في يوم من الأيام يسـاعد والده كما إعتاد في الزراعة إلى أن سـقط والده مغشـيا عليه فركض ناحيته ولكن للأســف عندما وصــل كان والده ينطق بأناســفه الأخيرة و لكنه قال له : عش شـريفا كما ربيتك لا تدع الطمع بنسـيكَ من أنت ، الفقر ليس عيبا بل العيب في الســرقة والغش والخداع إعتني بإخوتك وأمك جيدا أحبكَ.

وهنا إنقطعت أنفاس والد شيخ ، صُراخ عويل نحيب كلها أمور أحبذ أن نتخطاها لأن الفراق مؤلم للغاية و خصـوصـا إذا كان المفقود أباك هكذا

صار شيخ هو المُعيل الوحيد لأسرته وخصوصا بعد وفاة والده و مرض أمه الذي أقعدها وحاجة إخوته الصغار للأكل وشرب و من يعوضهم حنان الأب المفقود والذي لا يعوض .

يوما بعد يوم أدرك محمد أن الزراعة لن تفي بالغرض و بدأ في البحث عن عمل مهما كان لا يهم فهو يريد فقط أن لا تعيش أسرته في الحضيض بحث و بحث لم يترك باب نجار ولا حداد إلى ولم يطرقه وفي الأخير وجد وظيفة كعامل نظافة في إحدى الفنادق كان ذالك أكثر شيء أسعده حينها وأخيرا سوف يسد حاجيات أسرته و سوف يعيشون بدون شفقة ولا صدقة من أحد .

كانت ليلة عادية مثل كل ليالى عندما كان شيخ في طريق العودة من عمله إلى البيت حيث كانت المسافة طويلة للغاية لأنه يعمل في وسط العاصمة ولكنه يسكن في وضواحيها بعد نزوله من الحافلة شعر بيد باردة تمسك بكتفه فأنقبض قلبه.

قال : من هناك؟

صوت أقرب إلى فحيح الأفاعي : لا تحف أنا هنا من أجلك ولكي أساعدك ولكن دعنا نبتعد قليلا عن هذا المكان

فأجابه شيخ بعصبية : لن أذهب معكَ إلى أن تقول لي بضبط ماذا تريد

صاحب اليد الباردة بنفاذ صبر : ألا تريد معالجة أمك وإخراج عائلتك من الفقر

شـــيخ والصـــدمة على وجهه : من أين تعرف أمي ومن قال لك بأنها مريضة

صاحب اليد الباردة وعلى وجهه ضحكة ساخرة : ألم أقل لك بأن حديثنا هنا لن يفيد

فستسلم الشيخ حينها وذهب معه إلى أقرب زقاق مجاور.

قال الرجل صاحب اليد الباردة : أعلم بأنك من أسرة فقيرة للغاية وبأنك معيلها الوحيد و أمك على فراش الموت قد تنقذها عملية إســتأصــل الورم ولكنها باهضة للغاية ، أنا هنا حتى أقدم لك عرضا لا يأتي سوى مرة واحدة في العمر أريدك أن تُهَرِبَ شُـــحنة من الكوكاايين إلى الخارج وبالمقابل سوف نتكفل بعلاج أمك وسوف ندفع لك خمسة مئة ألف أوقية وأعتقد بأن العرض مغرٍ للغاية

مع توتر بادٍ على وجه شيخ قال :ما اسمك يا سيدي

قال صاحب اليد الباردة : دعك من الأسماء فهي مُجرد أسماء ، سوف أعطيكَ مُهلة حتى الغد لكي تفكر في قرارك وعندما تتخذه ســوف تجدني هنا في نفس هذا التوقيت

أجابه شيخ بتوتر و خوف : حححاضر

ثم خرج من الزقاق وانصــرف إلى بيته وفي تلك الليلة لم ينم فقد دار في رئسه ذالك الصراع بين الرغبة في تحقيق الثراء وبين وصيت والده لذي عاش شـريفا ومات شـريفا هل يخالف الوعد الذي قطعه لوالده ولكنه

يريد أن ينقذ حياة أمه بالله ماذا يفعل هكذا قضـــى ليلته تلك حيث لم يتذوق طعما للنوم ، وفي صـــباح اليوم التالي حســـم قراره فتوجه إلى العمل كالعادة وبعد انتهاء الدوام في المســـاء ركب الحافلة وصـــل إلى محطته المعتادة و لكنه عندما توجه إلى ذالك الزقاق لم يجد أحدا هناك انتظر و انتظر إلى أن أصـــابه الإحباط فقرر الرحيل ولكنه شـــعر بتلك اليد الباردة التي يعرف صـــاحبها جيدا توضـــع على كتفهِ الأيســـر فقفز من الهلع

قال شيخ : هل هذا أنت يا سيدي

أجابه صاحب اليد البارة : نعم ، هل إتخذت القرار

أجابه شـــيخ وهو يتلعثم : نعم ولككككن أررررريد نصـــف المبلغ قبل أن أقققققققوم بالمهمة

فأجابه صاحب اليد الباردة : كما تشاء لك ذالك

إنقضـى يومان على ذالك القاء وفي اليوم الثالث إلتقى شـيخ بصـاحب اليد الباردة كما كان يحب أن يســـميه ولكن هذه المرة في مكان مختلف ولم يكن وحده بل كان برفقته رجلان ضـــخما الجثة ســـلم صـــاحب اليد الباردة نصف المبلغ لشيخ وشرح له الخطة بالتفصيل و سوف يبدأ في عملية التهريب بعد أســـبوع و إلى ذالك الحين فاليبحث عن كذبة يُقنع بها أهله لكي يتمكن من السـفر ولكنه حذره وقال : إذا فكرة في خيانتنا أو التراجع عن المهمة فسوف نمسح أسرتك عن الوجود .

انقبض قلب شيخ ولكنه أومئ برئسه فقط وانصرف في ذالك اليوم لم يعد إلى المنزل بل توجه إلى أقرب وكالة للعقارات حيث إشترى شقة في إحدى أحياء الطبقة المتوسطة وفي اليوم التالي انتقل بعائلته إلى منزلهم الجديد كان الجميع مذهولين ، فكيف اشترى تلك الشقة ؟ ومن أين حصل على المال ؟ ولكنه كان يجيب ويكرر نفس الإجابة وهي حصوله على عمل جديد ، لقد إنقضت ثلاث سنوات على وفات والده ولكنه لم ينسى كلماته الأخيرة كان في كل صلاة يطلب من الله أن يغفر له ما هو مقبل على فعله.

وأخيرا هذا هو اليوم المنتظر حتى يقوم شيخ بعملية التهريب ويقبض ما تبقى من نقوده حتى يفتتح مشروعا خاصا به ويعيش بشرف هو و أسرته ، في صباح ذالك اليوم أعد شيخ حقيبته وأخبر والدته بأنه ذاهب في عمل لمدة اسبوع وسيعود قريبا إنشاالله ، ودع إخوته و استقل الحافلة إلى المكان المتفق عليه كان في انتظاره صاحب اليد الباردة و الذي أعطاه جواز السفر وحقيبة تحتوي على كمية كبيرة من الكوكايين المُخَبئة جيدا ، عندما أوصل صاحب اليد الباردة شيخ إلى المطار أخبروه بأن رجاله سوف ينتظرونه عندما يصل إلى وجهته لكي يسلمهم الشحنة.

بخطوات متثاقلة و أنفاس متقطعة دخل شيخ إلى المطار حيث تذكر كلمات صاحب اليد الباردة بأن يكون هادئا و مطمأننا فكل شيء سيكون بخير لن يُكشف أمره ، استعاد شيخ تركيزه و هدوئه ، وضع حقيبته على الجهاز كما أمره الضابط لم يكن يعلم لماذا يُستعمل ولكنه

خضـع للأوامر عبر هو من الجهاز الأخر سـمع الضـابط يقول بأنه لكشـف المعـادن وعبره بـدون مشـــكلـة وتوجـه إلى حقيبتـه كي يـأخـدهـا ولكن استوقفته الشرطية وقالت : سيدي إنتظر من فضلك !!!

فأجاب شيخ بتوتر : نعم

قالت الشـرطية : تفضـل معي حتى نفتش حقيبتك ، هناك جسـم غريب فيها

لم يستطع شيخ سوى أن يخضع لرغبتها فهناك شرطيان معها وأفراد أخرون من الشـــرطة متواجدون في كل مكان حتى وإن اراد الهرب فلن يسـتطيع ، توجه معهم إلى الغرفة الصـغيرة وقف شـيخ بقرب الطاولة التي وضـعت عليها الشـرطية حقيبته بدأت في التفتيش ولكنها لم تجد شـــيئا فتنفس شـــيخ الصـــعداء ولكن الشـــرطية لم تتركه وشـــأنه فقد لاحظت انتفاخ في الطراف الأيســر من الحقيبة ، اخذت الســكين وغرزته في تلك المنطقة المنتفخة من الحقيبة فظهر مســـحوق أبيض اللون قامت الشـرطية بوضـع المسـحوق داخل وعاء و بعد لحظة تحول لونه إلى الوردي الفاتح فقالت له : ســـيدي تم توقيفك بتهمة محاولة تهريب المخدرات.

أُصيب شيخ بالصدمة ، للأسف كان ذالك الخطأ هو أكبر خطأ قد ارتكبه في حياته عندما خالف وصـيت والده ، حين ظن بأن هناك طريقة سـهلة لجني المال ولكن طعمه قد كلفه الكثير ، تم الحكم على شـــيخ بإحدى عشـر سـنة من السـجن مع إمكانية إطلاق السـراح المشـروط ، يوما بعد

يوم أسبوعا بعد أسبوع شهرا بعد شهر و السنوات تمضي كل ذالك الوقت قد إنقضى و شيخ يعد الأيام والسنوات وهذه هي الذكرى السادسة على سجنه و اليوم سوف يتم اطلاق سراحه بعد أن كان سجينا مطيعا و تم دفع كفالته من قبل مجهول هو و بعض السجناء الأخرين حتى يتحرر من جديد ست سنوات قد مضت وهو لم يرى أمه ولا أخوته ، قرر أن يعود إلى شقتهم التي اشتراها قبل دخوله السجن ، وصل شيخ إلى وجهته ولكنه لم يتمكن من التعرف على شقتهم فالمكان لم يعد كما كان ولكنه تمكن من التعرف على أحد جيرانهم لذي كان يملك بقالة كانت بقربهم فأستوفه.

قال شيخ بوجه عليه علامات والبؤس:مرحبا يا عم صالح

أجابه العم صالح ببتسامته المعتادة : مرحبا بني

قال له شيخ : ماذا حل بتلك الإمارة المصابة بسرطان والتي كانت تعيش مع اولادها في العمارة الخامسة هل إنتقلو إلى مكان أخر أم ماذا ؟

قال العم صالح : لقد شب حريق ضحم في بيتهم منذ سة سنوات لأسباب مجهولة ولم ينجو منهم أحد

قال محمد بصوت مكسور وهو يتلعثم : ماذا ؟؟ ووووووووو كيييييف لقد خسرتهم لم يبقى لي أحدى

قال العم صالح باستغراب شديد : لم أسمع ما قلته يا بني

أجابه شيخ بصوت حزين للغاية : شكرا علي الانصراف

ركض شيخ بدون توقف ركض وركض وأخيرا أنهكه التعب فجلس على الرصـــيف و بكى ، غرف دموعا لم ولن يغرفها بشـــر قبله ولا بعده لقد خسـر كل شـيء أبوه و أمه وإخوته لم يتبقى له شـخص ، صـار متشـرد يعيش على الأرصـــفة وفي يوم من الأيام دخل إلى المســـجد لكي يأدي الصلاة وبعد انتهائه فضل البقاء قليلا ليس لأنه يريد الإصغاء إلى تلك المحاضـــرة بل لأن المكان كان مريحا للغاية فزاد من جلوســـه ولكنه في نفس الوقت كان يصغي إلى تلك المحاضرة.

قال إمام وخطيب المسـجد الذي كان يحاضـر : أيا معشـر الإخوان دعوة نادب إلى الحق و المعروف ليس بكاذبِ أعيرونِ الأسـماعَ أوصـي إليكم و صـية مصـحِ النصـحِ غير مخالبِ أما بعد فالحديث اليوم عن الأمل قد تتسـألون لماذا الأمل بذات ؟ عندما نفقد الأمل فنحن نفقد أكبر اسباب الحياة ، نحن قد ننسـى ولكن الله لن ينسـى الله لن ينسـى تلكَ الجروح التي في قلوبنا الله لن ينســـى همومنا لن ينســـى أحزاننا ، ولكن الحزن والغم يذهبان بسـجدة و السـعادة تأتي بدعوة عندما تكون صـادقة من القلب كيف تبتعدون عن الله وتطلبون السـعادة ولكن الوقت لم يفُت بعد حتى ترجعوا إلى خالقكم و لكي ترجعو إلى الله وتطلبو رحمتـه و مغفرته و تستغفروه كثيرا وتسبحوا بحمده بكرتا و أصيلا.

هذه الكلامات كانت كفيلتا حتى تحرك قلب شـــيخ و تجعله يغرف الدموع من جديد ولكن هذه المرة لم تكن دموع الحزن بل كانت دموع العودة دموع النفرة إلى الله بقلب صادق

(فمن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له)

قرر شـيخ بأنه سـوف يتغير وسـوف يبدأ حياته من جديد تلك كانت هي أول خطوة في طريق التغير و في ذالك اليوم أنفق شـــيخ كل ما كان يملك من نقود والتي قد جمعها بالتسـول إشـترى ثياب جديدة لم تكن باهضــة الثمن ولكنها تفي بالغرض إســتحم شـيخ كما لم يفعل منذ فترة طويلة في إحدى الحمامات العمومية و حلق شـعر رئسـه ولحيته ، صـار شـخصـا آخر لم يعد ذالك المتسـول الذي كان يقضـي لياليه في الشـوارع مع أنه لا يملك مسـكننا ولكنه كان يقضـي لياليه في المسـجد ، أخبر إمام المسجد بقصته فرق لحاله و فرح من أجله لأنه قرر تغير حياته للأفضل.

الفقر ليس عيبا بل العيب هو في أن نفقد الأمل العيب هو في أن تتوسل و تنســـى كرامتك ، العيب ليس في عدم نســـيان الماضـــي ولكن في التمســـكِ به ، ما فات لن يعود مهما فعلنا فالحياة تمضـي قُدما وعلينا المضي معها إلى الأفضل .

بعد مرور شـــهر وجد إمام المســـجد وظيفة لشـــيخ كحارس لإحدى المدارس الحكومية و قد كان العمل يُوفرله ســـكن و راتب لابئس به ، هكذا بدأ شـــيخ من جديد حياة جديدة بقلب جديد و إيمان راســـخ بأن الله معه دائما يســـمعه ويراه ويعلم ما في قلبه من طمئتينة والتي لا يشعر إلى المؤمنون .

لن أنسى نصيحته التي كان دائما يكررها على مسامعي عندما يقول : أجمل شـــيء في هذه الحياة يا بني هي راحة البال و ابتســـامتك وضحكتك مع من تحب لعلك تتسائل في نفسك من هم الذين أحب ؟

إنهم أولئك الذين يحيطون بك لا تنظر إلى عيوب أحد أو أخلاقه و تعامله معك بل تذكر فقط كل شـــيء جميل فيه و حينها أقســم بأنك ســوف تجعل حياتك أجمل وافضــل وأســعد بكثير ببســاطه دع الخلق للخالق وغتنم كل فرصـــة ممكنة حتى تكون ســـعيدا فاليوم نحن فوق التراب وغدا تحت التراب فلذالك لا ترهق نفســـك في التفكير إلى في ما من شئنه إسعادك و تذكر بأن سعادتك لن تنقص من سعادة أحد وفقرك لن يزيد من غنى أحد هي مجرد أرزاق يا بني ، لقد حفظة نصـــيحته عن ظهر قلب لأنه كان يكررها علي يوميا.

أعلم بأنه الأن في مكان افضـــل مع عائلته التي كانت تنتظره منذ زمن حتى يتم لم الشـــمل ، لقد وافاه الأجل منذ أيام بســـبب جلطة قلبية فارق على أثرها الحياة عن عمر ناهز الســـتين لم أدري في لماذا بيكت كثيرا في جنازته هل السـبب كان حزني على فراقه ؟ أم السـبب سـعادتي من أجله لأنه ســـوف يلتقي بعائلته من جديد ، ولكن كنت متأكدا بأن كلماته لن تفارقني ولن أنساه أبدا.

لم أجد طريقة أجعل بها ذكرى شيخ خالدة سوى بذكره في هذه السطور.

قبل أن أحبكِ كنتُ أحبُ مثلَ كلِ الناس

وبعد أن أحببتكِ لم أعُدْ أحِبُ مثل الناس

****

لقد كنتُ مجنوناَ و تيقنت بأن الحب

زاد على جنوني جنونا

*****

أحببتكِ مع أني حرمتُ الحبَ قبلكِ

فواللّهِ لن أحبَ بعدكِ

شغالي لحبيب

هل تذكرين كيف كنت أعشـــقكِ أعلم بأنكِ حتى اليوم غير مصدقة أنني قد استطعت التخلي عنكِ و غير مصدقة بأني مسحتكِ من قلبي ودفنتكِ مع ذكرياتي التي لن أتذكرها بعد هذه السطور ، ولكن قد قرأت في إحدى الكتب بأننا لا نكره بجنون إلى أولئك الذين أحببناهم بجنون ، لم أفهم معنى ذالك حينها ولكنني قد فهمته الأن ، لا أدري حقا هل كنتُ أعشــقكِ ؟ أم أنكِ ألقيتِ علي ســحركِ مع أنكِ لا تملكين من الجمالِ شيئا ولكن أحببتكِ وللأسف لم تستحقي ذالك الحب ، دعيني أعود بكِ إلى إحدى القضايا التي دارت بيني و محمد والتى كان لي فيها رأي و له فيها رأي مغاير، حتى أســتجمع ما تبقى من ذكرياتنا التي سوف أرميها معك في مهب الرياح.

جعلتني تلك القضية أفكر و أنصت قبل أن أطرح وجهة نظري.

القضية الفقر و التشرد هما ظاهرتان يلاحظها المجتمع المدني نومهما المتسارع وللأسف أغلبية المتسولين هم من الأطفال والمراهقين ولكن من بإمكانه أن يعطينا الأسباب منطقية لنتشار هذه الظاهرة في مجتمعنا.

وقف محمد حينها فستأذن الحديث : للأسف نسبة المتشريدين في بلادنا تزداد كل يوم ومن أبرز أسباب تلك الظاهرة التسرب المدرسي لدى الأطفال المنتمين الطبقات الهشة من المجتمع والتي للأسف لا تتمكن من تدريس أبنائها ويقومون بتشغيلهم ، ولكن في بعض الأحيان يطلبون منهم السرقة والنهب و التسول في احيان أخرى، إذا نخرج بخلاصة مفادها أن الأسر هم المسؤلون عن تلك الظاهرة التي تسمى بالتشرد عند الأطفال و المراهقين.

رفعت يدي مع أن كلامه كان مقنعا للغاية حينها : أنا لا أوافق على كل ما قلت فصحيح قد تُحمل الأهالي بعض المسؤولية و لكن تلك الظاهرة لا تقتصر فقط على الأطفال بل هناك أيضا بالغون يتسولون ، أنتَ أعطيت فقط الصورة من ناحية الطفل و لكنك نسيت البالغين والذين تصل نسبتهم في التسول والتشرد إلى أربعين في المئة وهي نسبة معتبرة مع العلم بأن السلطات قد إتخذت إجارأت بإعطاء كل متشرد مبلغ من المال في نهاية كل شهر ولكن المتشردون لم يحبذو ذالك القرار ولم يضعوا ايديهم في يد الحكمومة والسبب قد يفاجئك وهو دخلهم اليومي فقد أجريت دراسة مع مجموعة من الأصدقاء الذين يمتلكون الورقات وأكتشفنا بأن الدخل اليومي لكل متشرد هو خمس

مئة أوقية في أسـوء الأحول فالمتشـردون يأتون إلى أصـحاب الوراقات كي يقومو بتبديل العملات المعدنية بالأوراق النقدية ، إذا المشـكلة هنا لم تعد في الحاجة إلى التسـول والتشـرد بل المشـكلة أكبر من ذالك فهذه الظاهرة أصـبحت عادة عند بعض الناس ولذالك أيضـا سـلبيات أخرى وهي تشـويه صـورة المدن و عدم سـلامة المتسـولين فهم مهددون بأن يكونوا عُرضـة لحوادث السـير والتي لا تحمد عقباها في أغلب الأحيان.

ولكن قال محمد حينها وعلامات الثقة مرسـومة على وجهه : أنت إذا تتهم المتشردين بأنهم راضون عن فقرهم

أجبته : لا ليس هذا ماقلته أنت تفهم الأمور دائما بالعكس حين اتكلم.

قال لي مبتسما : إذا إشرح قصدك فالصورة لم تتضح بعد.

فأجبته : بكل سـرور ، ولكن سـوف سـأشـرح الموضـوع من مُنطلق علم النفس لا يوجد شـخص فقير ولكن هناك أشـخاص يؤمنون بالفكرة أي الفقر وهنا يعمل عقلهم الباطن على تنفيذ ما يفكرون به أي بكلمات أبسـط الفقراء هم أشـخاص يؤمنون بفقرهم و بحتمية تلك الفكرة مع أنهم يسـتطيعون ٧عكس الفكرة من الفقر إلى الغنى ولكنهم لا يسـتطيعون و السـبب هو عدم التعلم فكيف بشـخص لم يفتح كتابا واحد في حياته أن يكتشف أسرار العقل الباطن .

فقال محمد : بإمكاننا الجزم بأن التعليم يلعب دورا مهما وهو الذي يقرر مصير الشخص فحتى إن كان فقيرا و هو متعلم فسوف يحاول تحسين ظروفه .

أجبته و وجهي عليه ابتسامة ساطعة : نعم هذا ماكنت أرمي إليه ، فلا يمكن أن نقضي على الفقر والتشرد سوى بالعلم والمعرفة .

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي قلتها حتى أعلن عن غلق ذالك الملف.

دعيني أعترف لكِ بشيء أنا في الأصل لم أحببكِ بل كنت معجبا فقط بضحكتكِ التي سحرتني ولكن مع مرور الأيام أحببتكِ فعشقتكِ فأدمنتكِ لطالما تتسائلة لماذا يصيبنا العمى عندما نحب ولكن وجدة الإجابة بعد حبكِ فنحن عندما نحب يعمينا الحب عن من نحب و يعمينا عن كل تلك التصرفات السيئة التي يقومون بها وكل ذالك الأذى ، يقولون لا كرامة بين العاشقين فأقول لا بل هناك كرامة وإذا لم تكن هناك كرامة بين العاشقين فاليذهب حبهم إلى الجحيم فكيف بشخص أن يدفن كرامته وعزت نفسه من أجل شخص سوف يتخلى عنه ، بالله عليكِ كنتِ تظنين بأنني لم أتوقع يوما بأننا سوف نفترق دعيني أخبركِ بشيء لطالماء إنتظرت لحظة الفراق حتى أدفن حبكِ الذي أراقني وألعن الحب بعدكِ.

لعلكِ غير مصدقة لهذه الكلمات ولكن هذه هي جنازت حبنا لذالك إقرئ هذه السطور بتمعن كما أفعل الأن و أنا أكتبها لأنني لن أتذكرها

بعد اليوم ، ولكن ماقد أخبرتكِ به حتى الأن عن الأســاتذة عائشــة وعن البواب الشـيخ لا يقارن بما عاشـه هارون ، هو الأن يبلغ سـتة عشـر سـنة ولكن سوف أعود بكِ إلى بداية قصته عندما كان طفلا يبلغ سبع سنوات عاش مع أمه وزجها لقد مات أبوه قبل أن يولد وعاش فاقدا لحنانه و فاقدا لحنان أمه فقد كانت مشغولتا بتربية أبنائها و نسيت بشكل ما أنه منهم وفي يوم من الأيام قرر زوجها أن يتخلص منه ولكي يفعل ذالك قرر بأن يرسـله إلى إحدى المحاضـر في المنطقة الشـرقية من البلاد حيث لم يكن له قريب ولا أحد يعرفه هناك ، في صـــباح إحدى الأيام أيقظه زوج والدته لكي يسـتعد من أجل الذهاب كان هارون حينها بتلك البرائة التي جعلته يصدق بأن زوج والدته يحبه ، سافرا قبل يومين ولم يمضي وقت على وصـلهما ولكنهما توجها مباشـرتا إلى تلك المحضـرة لاحظ هارون تلك النظرات الغريبة في عيون الأطفال الذين رأهم عند ما أتى مع أنه حينها كان صغيرا للغاية ولكن نظراتهم تلك كانت مألوفة للغاية بنسبة له فعندما يقف أمام المرأت ويرى انعكاس صـــورته و عليها علامات الحزن والانكســار التي كانت مطبوعة على وجوههم و التي كان يعرفها فهي لم تفارقه أبدا ، فودعه زوج أمه قبل أن ذهابه و قال له : بأنه سوف يعود إليه قريبا.

مضـــت الأيام رئى فيها هارون معاناة لم يرها في حياته أبدا فأســـتاذ المحضـــرة يطلب منه التســـول حتى يحصـــل على الأكل ومن يأبى عن ذالك يُضـرب و يُعلق من رجليه حتي يكون عبرة لغيره لم يكن يظن هارون بأن هناك أشـخاص بهذه القسـوة و لكن كان لديه أمل بأن أمه وزوجها ســـوف يرجعان لأخذه ولكن مرت الأيام وشـــهور ... ثلاثة أشـــهر

إنقضت و لم يأتيا لزيارته ، فقد الأمل تأكد بئنهما قد تخليا عنه وللأسف حاول أن ينسى الموضوع حاول النسيان بأن لديه عائلة ولو كان أبوه الحقيقي على قيد الحياة لما حصل له كل هذا ، واصل العيش مع الدروس التي لم يفهم أغلبها حيث كان يبدأ في الصباح الباكر في تعلم القرأن وفي الظهيرة يبحث عن الصدقة ولا يفكر في العودة إلى عندما يعثر على شيء للأكل فإذا لم يفعل ذالك سوف يُعاقب أشد العقاب وستمر هارون هكذا تعرف على إسلمو و حسن كانا صديقاه المقربان لقد أحبهما كثيرا كما فعلى معه كان كل واحد منهم يدعم الآخر لا أدري هل لأن قصصهم متشابه أم أن الله جمعهم حتى يكمل كل منهم الأخر ترعرعو معا ضحكو معا و عوقبو معا لسنوات ، وحين بلغ هارون الرابعة عشر من عمره قرر مع إسلمو وحسن بأن يهربو من المحضرة إلى العاصمة حتى يتحررو من ذالك الأسر الذي كانو فيه فقد كان لديهم مبلغ صغير من المال كانوا يدخرونه لقد كانوا يظنون حينها بأنهم يستطيعون اقناع شخص كي يسطحبهم إلى العاصمة ليضعهم في الصندوق لو أراد المهم هو أن يخرجو من ذالك العذاب الذي كانوا يعيشونه ، بعد تخطيط أمضي شهرين قرروالهرب و سوف يفعلون ما خططوا له هذا اليوم عندما يخرجون من أجل البحث عن الصدقة وذالك هو ما فعلو ركضو و ركضو إلى أن وصلو إلى أقرب طريق سريع لم يمض وقت حتى وجدوا سائق شاحنة إصطحبهم مجاننا لم يطلب منهم النقود ربمى أشفق على حالهم.

وصلو أخيرا إلى العاصمة نواكشوط كانو متشردين يقضون لياليهم في جنبات الطرقات وفي النهار يسرقون في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى

يعملون في غسـيل السـيارات لا أدري كيف ولكن شـاء الله أن يقبض على حسن عندما كانو يسرقون بعض ثمار المانغو من أحد الرجال إلتقو به صـدفة حينها و من يومها لم يسـمعو خبرا عن حسـن بقى هارون وإسـلموا وحدهما يكافحان حتى يعيشـا و لكنهما تعاهدا بأنهما لن يسرقا مجددا ومنذ ذالك اليوم واصلا العمل في غسيل السيارات إلى أن وجدا غرفة رخيصة الثمن كانت تناسب حلتهما وهكذا كانا يعتمدان على غسـيل السـيارات وبعض الأعمال الأخرى مثل حمل أمتعة الناس إلى أن جاء يوم تغير فيه مجرى حياة هارون وإسـلمو كانا معا في موقف الغسـيل كالعادة إلى أن ركنة سـيارة كان شـكلها يوحي بأن صـاحبها ثري للغاية و نزل صاحبها وبرفقته شخص لم يكن غريبا عليهما.

لقد كان يشـبه حسـن ولكن هارون لاحظ تغير في شـكله لقد مرة سـنة كاملة على آخر مرة إلتقيا فيها ولكن طرد تلكَ الفكرة من رأسـه ربما كان فقط شـخصـا يشـبهه وخصـوصـا أنه يبدو مراهقا غنيا ومتعلما لم تبدو علامات الإسـتفهام تلك التي كانت دائما عل وجه حسـن باديتا عليـه و لكن هـارون لاحظ نظرات ذالـك المراهق نحوه مع أنـه لم يقـل شـيئا ، بعد أن أنهيا غسـيل السـيارة دفع لهما الرجل ثمن تعبهما وأنصـرف و لكن لم يفارق وجه ذالك المراهق الذي كان في نفس عمر حسن مخيلة هارون كان يطرح على نفسه بعض الأسئلة ويجيب نفسه بعدها ، هل كان حسـن ؟ لا لا أعتقد لوكان هو كان سـوف يعرفني ربما هو يشبهه فقط ولماذا أفكر به لهذه الدرجة .

بعد مرور أسبوعين على لقائهم بذالك المراهق أتت إليهم نفس السيارة ولكن هذه المرة لم ينزل منها سوى ذالك المراهق الذي يشبه حسن و كان بداخل السيارة شخص ومن مظهر ثيابه عرفنا بأنه السائق ، ركض ذالك الشاب نحو هارون وإسلمو وعانقهما و قال: لقد أصاب حدسي لم يحدث لكما مكره ، وفي تلك الحظة تيقن هارون بأن ذالك المراهق هو حسن نفسه فأكمل حسن حديثه : في المرة السابقة عندما أتيت إلى هنا ورئيتكما لم أستطع أن أتكلم فأبي كان معي !!!!

سأله هارون حينها مستفسرا : أبوك وكيف ذالك ألم تقل بأنك من عائلة فقيرة

أجابه حسن مستأنفا الحديث حين قال :دعني أحكِ لك قصتي وستفهم في ذالك اليوم عندما قبض علي ذالك البائع المتجول وهربتما لم يذهب بي إلى الشرطة بل هدئني و قال لي : لو أردت الفواكه ماكان عليك سوى أن تطلب .

حكيت له قصتي وقصتكما و كيف تخلى عنا أهلنا رئف لحالي وذهب بي إلى دار رعاية الفقراء وهناك إعتنو بي إلى أن جاء يوم وتبناني رجل ثري للغاية لاكنه صارم وحازم أدخلني إلى إحدى المدارس الخصوصية حيث أمضيت سنة و أنا أتعلم الكتابة والقرائة باللغتين الفرنسية والإنجليزية وعندما أتيت إلى هنا في ذالك اليوم و رأيتكما لم أستطع أن أتكلم أو أفعل أي شيء لأن أبي كان معي ولكن بالأمس وبعد أن إستجمعت كل ما في من شجاعة أخبرته بقصتكما أذن لي بأن أذهب إليكما و أنه سوف يتدبر أمر رعايتكما في الميتم و لهذا أنا هنا.

لم يدري هارون حينها هل كان سعيدا لأن الصديق والأخ المقرب عاد أم انه سعيد لخروجه من ذالك العذاب والبؤس الذي كان يعيش فيه ، ركبو السـيارة مع حسـن أوصـلهم إلى دار الرعاية وفي لحظة وصـولهم إلتقيا مديرة دار الرعاية لقد كانت في انتظارهم سـألتهم بوجهها المشـع بالنور والذي لم تفارقه أبدا تلك الابتسـامة منذ اليوم الذي عرفها هارون فيه قالت بصوتها العذب : مرحبا ، ما هما إسمكما .

أجابها إسلمو : إسمي إسلمو وهو اسمه هارون

إحتضـنتهما كما لم يفعل أحد من قبل وقالت لهم : من اليوم أنتما في المنزل ولن تعملا أو تشعرى بالوحدة من جديد.

ودعهم حسن و أنصرف ، كانت دار الرعاية كبيرة للغاية وهناك الكثير من الأطفال بعضـهم في نفس عمر هارون وإسـلمو و البعض الأخر يكبرهما بقليل والأخرون صـغار ولكن علامات الفرح و السـعادة كانت مرسـومة على وجوه الجميع ، أعطوهما ثياب جديدة و ستحمى ولكن عندما وقف هارون أمام المرآة شعر بأنه ينظر إلى شخص آخر و إسلمو إنتابه نفس الشعور كذالك فقال هارون في نفسه : ما أبشع الفقر وأجمل الفقراء.

هكذا بدئ حياتهما من جديد ،و في الصـباح و بعد أن يسـتيقظا يذهبان إلى القاعة الخامسـة حيث كانا يتعلمان القرأة والكتابة فيها والتى لم يحظيا بالفرصـة لتعلمهما في المحضـرة بسـب الأعمال التي كنا يقومان بها ، كانت قاعة متوسطة الحجم فيها الكثير من الكتب وفي نفس الوقت بعض الطاولات ، تعَود هارون وإسـلمو على لأمرور وبعد مرور شـهرين

من تواجدهما في دار الرعاية وفي إحدى الأيام أتيت إليهم كانت تلك هي أول مرة يرونني فيها و لاحظو علامات غير المبالات والغرور على وجهي أو بالأحرى هذا ما كانو يظنونه حينها وفي ذالك اليوم أمرة مديرة الدار الجميع بأن يدخلو إلى تلك القاعة التي كانة مغلقة دائما حيث كانت تتسع لجميع الأطفال المتواجدين في دار الرعاية وقفت فوق المسرح الذي كان في وسط القاعة كان الجميع يظنون بأنني سوف أقدم عرضا غنائيا لكثرة مكبرات الصـــوت في المكان ولكن بدأت الحديث : مرحبا اعرفكم على نفســي اســمي شــغالي أحمد لحبيب محاضــر في التنمية البشــرية !!! لم يفهم حينها الأطفال ما تعنيه التنمية البشــرية تلك ولكن واصـــلت الحديث قائلا : أعلم بأنكم واجهتم الكثير من الصـــعوبات في حياتكم ولم تعيشــو طفولتكم كما يجب ولكن الأن هل أنتم راضــون عن حالكم ؟ هل من بينكم من يحلم بشـــيء لريفع يده ؟ ولم يفعل أحد فأكملة قائلا : تعلمون متى نموت ونحن على قيد الحياة ، عندما نتوقف عن الحلم عندما نعيش بلا حلم نســـعى من أجل تحقيقه ، أنا أمامكم اليوم حتى أحدثكم عن الحلم هل هو جريمة ســوف يحكم علينا بالإعدام إذا إتركبناها ؟ و الإجابة هي لا ، إذا لماذا لا نحلم لقد حلم ألبرت أينشــتان فوقف الجميع في طريقه ولكنه لم يســتســلم لقد حلم نيلســون مانديلا وحقق أحلامه ، هل فيكم من يري بأن تحقيق الأحلام مســـتحيل ليرفع يده!! رفع الجميع أيديهم .

أكملت الحديث : دعوني أخبركم الســـر وهو ما يجهله الكثيرون والذي نســـمية قانون الجذب ، ولكن ذالك القانون لا يعمل إلى عندما نؤمن بحتمية أفكارنا وأحلامنا فنحن عندما نضــحي ونُكَرِس والوقت من أجل

تحقيق أحلامنا لا محاله ســـوف نحققها ولكن إذا كنا بدون أحلام فكيف ســـوف نســـتخدم ذالك القانون ، ختاما لا أريد منكم ســـوى أن تحلمو وتُضـــحو من اجـل احلامكم حتى و إن وقف الجميع في طريقكم لا تســـتســـلمو بل حاربو العالم لو إطررتم من اجل الســـعي وراء أحلامكم وشكرا.

في ذالك اليوم لم يدري هارون ماذا حصل له وكأنه كان ضائع في صحراء و الأن عرف الطريق التي ســوف يســلك لقد عثر هارون على حلمه و هو أن يكون مثلي حتى يزرع الأمل في نفوس الناس ولكن كيف سوف يفعل ذالك أمضى هارون يومين وهو يبحث عن الإجابة وبالصدفة أتيت ذالك اليوم حتي أطمئن على مديرة الدار فصـــحتها كانت متدهورة وقبل أن أخرج من الميتم ركضـــة هارون ناحيتي وقال حينها : مرحبا ، إســـمي هارون لقد أثر في ما قلت ذالك اليوم كثيرا و لقد عثرة على حلمي .

أجبتـه و كـالعـادة وجهي لم تبـدو عليـه ســـوى علامـات ألامبـالات التي لاحظها منذ أن عرفني : تشـــرفنا يا أخي الصـــغير ، جميل جدا إذا ماهو حلمك.

قـال: حلمي أن أكون مثلك أن أســـاعـد النـاس وأرشـــدهم إلى طريق الصواب.

أجبته : أنصـت جيدا يا أخي الصـغير ، ليس هناك شـيء صـعب في هذه الحياة بحيث لا تســـتطيع معـه جعلـه أكثر ســـهولة عن طريق كيفية تعاملك معه ، لذالك أنت وحدك من يســـتطيع جعل الأمور ســـهلة أو

صعبة وسأبقى دائما أدعمك وأساعدك حتى تصبح أفضل مني في هذا المجال.

جعلته كلماتي تلك يشعر بالفرح و خصوصا أني سأساعده هكذا كُنت آتي مرة في كل اسبوع من أجل أن أشرح له الكثير و الكثير عن تطوير الذات و كنت دائما أحضر معي كتاب أو رواية حتى يقرئها هارون ولن أنسي أول كتاب قد قرأه لقد كان بعنون " مميز بالأصفر" لقد جعلته يدرك الكثير من الأمور وهكذا صار لهارون أخ وصديق يحبه للغاية ومنذ أول يوم عرفته وحتى الأن لم أذكر إسمه قط بل أناديه أخي الصغير لأنه أخي الصغير وهكذا صرت أتجول في بعض الأحيان مع أخي الصغير في دور رعاية الأيتام والمرشدين لكي يرى اسلوبي في تقديم والمحاضرات في التنمية البشرية و التي وعدت نفسي بأن أسخر حياتي من أجلها حتى اساعد و أبعث الأمل في جميع النفوس.

أعلم بأنكِ الأن تتسائلين عن السبب الذي جعلني أتخلى عنكِ ؟ دعيني أجب و هو لأنني لم أعد قادرا على تصديق تلك الأكاذيب التي اعتدت على تصديقها .

عيناك.. كلهما تحدي

ولقد قبلت أنا التحدي!!

يا أجبن الجبناء.. إقتربي

فبرقك دون رعد

هاتي سلاحك.. واضربي

سترين كيف يكون ردي..

إن كان حقدك قطرةً

فالحقد كالطوفان عندي

أنا لست أغفر كالمسيح

ولن أدير إليك خدي

السوط.. أصبح في يدي

فتمزقي بسياط حقدي

*

يا آخر امرأةٍ.. تحاول

أن تسد طريق مجدي

جدران بيتك من زجاجٍ

فاحذري أن تستبدي!

سنرى غداً .. سنرى غداً

من أنت بعد ذبول وردي

*

أتهددين بحبك الثاني..

وزندٍ غير زندي؟

إني لأعرف، يا رخيصة،

أنني ما عدت وحدي..

هذا الذي يسعى إليك الآن...

لا أرضاه عبدي..

فليمضغ النهد الذي

خلفته أنقاض نهد..

يكفيه ذلاً ... أنه

قد جاء ماء البئر.. بعدي

نزار قباني

وجدت ضـــالتي عندما قرأت هذه الأبيات فقد كانت تصـــف ما بداخلي اتجاهك فأنتِ لم تعودي ســـوى ذكرى كانت جميلة و لم يعد إســـمكِ ســـوى مجموعة حروف بنســـبة لي ، لقد كنت أعشـــقكِ حتى صـرت أتهم نفسـي بالجنون ولكنكِ قد خسـرتني عندما قررتي خيانتي فبالله عليكِ لا تحاولي تمثيل دور البريئة الغير دارية بأي شـــيء فأنت أدرى مني بالخيانة التي إرتكبتها صدق من قال "كن خائنا تكن أجمل " فبعد خيانتكِ لي صرتِ أجمل بكثير.

أتذكر جيدا عندما ضـاق صـدري الحياة فأطررت للاسـتغاثة بمحمد فلقد كان بطلبي الذي ينقذني دائما من الوحدة والضـــيق ، وفي بعض الأحيان أشعر بأنه ينتظر إتصالي على مدار الساعة.

إتصـــلت بمحمد لم ينتظر أبدا حتى يرن الهاتف إلى أن أجاب : مرحبا يا قيس كيف الأحوال عندك

لقد كان يحب مناداتي بذالك الإســـم لأنني كنت دائم التغزل بالبنات في أشـعاري أجبته بصـوة خالِ من الحياة : أصـغي إلي جيدا يا محمد أريد أن ألتقي بك الأن فلا يمكن للأمر أن ينظر و إلى فسـوف ينفجر قلبي من الحزن.

أدرك من نبرة صـــوتي بأنني جاد للغاية ويائس وعلى غير عادتي فقالي : إذا لنلتقي في المقهي المعتاد ، سوف أكون بنتظارك هناك.

أجبته : حسنا

إرتديت ثيابي و تأنقة كالعادة ومن ثمة توجهت إلى المقهى فوجدت محمد في انتظاري لم يدعني ألقي التحية حتى فجلســـت و قال لي : ماذا بك أبشرني بالخير.

فقلت : أنا لم أعد أتحملها لقد خانتني و مع ذالك هي مُصـــرة بأنها لم ترتكب شيئا.

قال لي بصـوت شـبه منخفض : هدئ من روعك يا أخي احكي لي القصـة كـي أفهم.

إسـتدعى محمد النادلة وطلب كوبين من القهوة وبعض الماء البارد قبل أن تحضـــر القهوة لكي أتمكن من تبريد أعصـــابي بعد أن شـــرب الماء البارد قال لي محمد : أخبرني بما قد جري بروية.

قلت إذا أنصـــت جيدا : أنت هو أكثر شـــخص يعرف مقادر ذالك الحب الذي كنت أكنه لها ولكنها خانتني مع إبن عمها ، كنت في ليلة أمس اقرأ إحدى الكتب كالعادة إلى أن ســـمعت صـــوت هاتفي المحمول يرن فأجبت وكانت هي المتصـــلة تحدثة معها كعادتي بكل حب ومودة إلى أن قاطعتني وقالت بأنها كانت تتحدث مع إبن عمها منذ فترة وحتى قبل أن تعرفني وقالت لي بأنه قد إعترف لها بحبه وهي لا تدري المشاكل ، فقلت لها ولشـــدة غضـــبي بأن نفترق وبأنني لا أملك مكاننا في قلبي للخونة.

قاطعني محمد حين قال : أحسـنت الصـنيع ولكن ماهي المشـكلة الأن هل أنت نادم على فراقها أم ماذا.

أجبته : بالعكس أنا لســت نادما ولكنني غاضــب للغاية كيف كنت بكل ذالك الغباء الذي جعلني أعشقها بصدق وغاضب اكثر لأن خدعتها التي غلفتها بالحب قد إنطلت علي و أنا الذي كنت أظن بأنها تحبني حقا.

فأجابني محمد قائلا : انصت جيدا آمن بالقسـمة وآمن بعدل الله وأن كل شـيء زال منك هو بالأحرى زال عنك ، وأ ن كل شـيء ضاع من بين يديك لم يكن لك في الأصــل، وآمن بأن كل موقف في هذه الحياة ما هو إلى درس لكَ.

حينها أتت النادلة بالقهوة فأخذ محمد كوبا ورشــف منه ، ولكنني بقيت كما أنا لم أحرك ســاكننا وكأن كلماته جعلتني أولد من جديد وكأن الله بعث في نفســي روحا جديدة ، أخذت كوب القهوة الذي كان أمامي وتجرعة منه و هكذا خيم الصــمت لمدة عشــر دقائق بدون أن يقول محمد أي شــيء فهو كان يعرف مدى حبي للصــمت ويعرف بأني قظ تجاوزت الأزمة و اكبر دليل هو صــمتي فلذالك لم يرد أن يزعجني ، لا حظت ذالك فقلت له : تعلم كنت أظن بأنني قد خســرت كل شــيء و لكنك جعلتني أدرك بأنني لم أكن أملك أي شيء حتى أخسره.

حينها رأيت علامات الســعادة على وجه محمد ، كم جميلة هي الأيام عندما تعطيك أخ يكون لك الصديق و الداعم عندما يتخلى عنك الجميع و يتركون عندما كنت في أقصــى حالات البؤس مد إلي محمد يده و نتشــلني من الحزن والبؤس ، زرع محمد في داخلي حينها فكرة الإيمان بقضاء الله هكذا ودعته ورجعت إلى المنزل و أنا في الطريق كنت أشـعر

بشـــيء غريب كان في داخلي وكأنني قد وجدة المفاتيح الســـرية لأبواب السعادة والمفتاح كان الإيمان بقضاء الله عز وجل.

وهكذا مرة الأيام فنســـيتك و حذفة كلمة الحب من قاموســـي كي لا أعيش ما قد عشـــته معكِ من جديد ، إلى أن جاء ذالك اليوم كنت دائم التردد على ذالك المقهى المعتاد لا أدري هل السـبب هو هدوء المكان أم الســـبب شـــعوري بالراحة هناك ولكن كنت في كل يوم أحد و عند السـاعة السـادسـة مسـاء اتوجه إليه و أمضـي هناك سـاعة ونصـف ، مع العلم بأن صـــاحب المطعم وجميع ونادلين صـــاروا يعرفونني مع أني لا اتحدث مع أحد عندما أتي كنت فقط أبتســـم كعادتي و اطلب القهوة وطبقا من البطاطس المقلية لقد صـــارو يعرفون طلبي الدائم وعندما أتي لم أعد بحاجة إلى الطلب فهو يأتيني فأتبســـم للنادل و أحاســـبه فينصرف حتى يتركني أقرا كتابي المفضل " نظرية الفستق "

الفصل الثالث
والأخير

عودة إلى الوقت الحالي لقد كان جميع المتواجدين في تلك القاعة ينصتون بانتباه شديد إلى ذالك الشاب الواقف فوق المنصة لنفعل مثلهم وننصت إلى مايقول.

المتشائم لايرى في كل فرصة إلى الصعوبة أما المتفائل فلا يرى في كل صعوبة إلى فرصة ، لذالك لا تكونو كالمتشائمين بل كونو كالمتفائلين أنظروا إلى الإيجابيات فقط لن أقول لكم بأن تتغاضو عن السلبيات ولكن لا تجعلومنها أولوية لأنها سلبية.

إبدؤ من الصفر هذه رسالتي إلى المجتمع و العالم و هذا هو شعاري فالنجاح لا يأتي في لمحة عين و لايمكن أن يأتي دفعت واحدة بل ببالتدريج عليكم أن تسيرو خطوة بخطوة حتى تتمكنو من الوصول إلى مبتغاكم وأهدافكم.

هل هناك شخص في هذه القاعة قد طرح على نفسه هذا السؤال : هل لدي هدف في هذه الحياة ؟

ما اريده منكم أيها الحضور الكريم هو أن تبدؤ في البحث عن الإجابة ، فكل شخص على قيد الحياة قد خُلق لهدف معين لا يعمله إلى الله ، فلذلك أكرر من جديد اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد لن تخسرو شيئا بل بالعكس سوف تكتسبون الخبرات والثقافات فالعلم هو المدخل.

دائما مانقتل أحلامنا عندما نقول بأن هذا الأمر مســـتحيل علينا تغير كلمة المســـتحيل إلى الممكن فلا شـــيء مســـتحيل ما دمنا نتســـلح بالإيمان و الإرادة فلا يمكن لأي شيء أن يقف في طريقنا.

الغناء ، الرسم ، الشعر ، الكتابة ، التمثيل ، التشكيل ... كل تلك ا مواهب لا يملكها الكثير وليســـت حكرا على القليل لذا حاولو أن تنمو تلك المواهب حتى وان وقف الجميع في طريقكم لا تستسلمو بل حاربو من أجل مواهبكم وفي يوم من الأيام سوف يكون الجميع في صفكم عندما يرون تضحيتكم في سبيل مواهبكم عندما يرون نجاحكم لذالك لا تقتلو أحلامكم بأيديكم.

إذا كنت الأن أنصحكم فلا تأخذو صورة عني كشخص مثالي بل أنا فقط أنصـــحكم كي لا تقعو في تلك الأخطاء التي وقعت بها ، العيب ليس في أن نخطئ أو أن نفشل بل العيب هو في عدم الاعتراف بالخطأ و العيب هو في الإستسلام عند الفشل قد تفشلون من المحاولة أولى أوالثانية أو الثالة ... أوحتى الخامسة عشر ولكن سوف تنجحون في أخر المطاف لأنكم لم تستسلمو.

يقول الفنان الكبير بابلو بيكاســـو : قالت لي أمي عندما تصـــبح جنديا ســوف تصــل إلى رتبة الجنرال وعندما تصبح معلما ســوف تصــل إلى منصب وزير التعليم وبدلا من ذالك أصبحت رساما وإسمي بيكاسو.

فعندما تقررون السير في الطريق التي اخترتم كنو الأفضل لا ترضو بغير الممتاز ولا ترضـــو ســـوى بالتفوق ، فهل هناك مســـتحيل عندما نؤمن بقدراتنا ؟ والإجابة هي لا عندما نؤمن بقدراتنا.

إحذفو كلمة المســـتحيل من قاموســـكم و آمنو بالنجاح من قلبوكم فالنجاح أولا ينبع من القلب ومن ثمة إلى العقل ، لكي تحققو ما تصبون إليه ضحو بوقتكم و من ثمة بفكركم و بإرادتكم حتى تتحقق طموحاتكم إبدؤ من هذه الحظة.

حتى أوجهكم إلى التغير ليأخذ كل منكم ورقة واليكتب عليها ســـوف اقل من : الكلام ، النقد ، التكشـــير ، الشـــك ، التأجيل ، التخوف ، تأكيد صلاحياتي ، النظر لليوم ، اللوم ، الانشعال بتفاصيل ، بناء تابعين ، طرح الأجوبة.

واليكتب ســـوف أزيد من : المتابعة ، الاســـتماع ، التطوير ، الابتســـام ، الإنجاز ، تفويض صـلاحياتي ، العطاء ، الثقة ، التحفيز ، التشـجيع، النظر للمستقبل ، الانشغال بالمستقبل ، طرح الأسئلة ، بناء قادة.

هذه الأمور قد تكون بســـيطة ولكنها تتحكم في حياتنا ، كونوا دائما في الجانب الإيجابي إبتسمو حتى وإن كنتم لا تملكون الرغبة لذالك.

وختاما شكرا على انتباهكم أيه الحضور الكرام كان معكم هارون جوب .

لقد أبهرني هارون كثيرا بهذه المهارة التي يمتلك لقد أصبح مُحاضرا في التنمية البشـــرية بمتياز بعد خمس ســـنوات من العمل والجهد و أخيرا صار أخي الصغير من أفضل الشباب في هذا المجال ولقد ساعد الكثير

و الكثير من الناس و أنا فخور به للغاية لولا تفانيه وإصـراره على النجاح لما وصل إليه.

في طريق العودة إلى المنزل و أنا أقود الســيارة فكرة في أن أذهب إلى المقهي وأقضي هناك بعض الوقت مع نفسي كالعادة.

وصـلت إلى المقهى فرأيت علامات التعجب على وجه النادل فهذه أول مرة آتي إليهم في هذا الوقت وخصـوصـا أن اليوم ليس يوم الأحد ، لم أجد مكانا شـاغرا حتى طاولتي المعتادة كانت محجوزة ولكن لمحة طاولة لا تجلس عليها سوى فتاة فتوجهة إليها.

فقلت : مساء الخير

أجابتني : مساء النور

أكملت: آسف على إزعاجكِ ولكن هل معكِ شخص

قالت وعلامات الدهشة بادية على وجهها: عفوا

أكملت بتوتر بادٍ على صــوتي : أقصــد جميع الطاولات محجوزة وأردت السؤال ما إن كان بإمكاني الجلوس معكِ

أجابتني وابتسامة خجل على ثغرها : بكل سرور تفضل

كان ذالك يعني لي الكثير ، طلبت من النادل كوبين من القهوة واحد لي و واحد لتلك الفتاة أخرجت قلمي وبدأت الكتابة على إحدى المناشــف الورقية فلمحت تلك الفتاة ما كنت أفعل فسألتني بستفهام

- ماذا تفعل ؟

- أكتب شعرا

- ولماذا؟

- صـراحتا لقد أمضـيت خمس سـنوات بدون أن أكتب أي قصـيدة والأن أفعل

- لو سمحت هل بإمكانك قرأتها لي

- ذالك يسرني أنصتي إذا ، نظرت إلي فتبسمت وكأن النار أُشْعلت

وكأن الحرب بدأت من بعد الفتنتِ

التي أخمدت

نظرت إليَ وتكلمتْ وكأنَ السماءَ

قد رَحُبَتْ

وكأن الأرض قسمت إلى أجزاء وحُطمت

وكأن النجوم مسحت من الكون قد مسحت

نظرت إلى و تكلمت

وكأن البشرية إختفت

نظرت إلي ونطقت

بكلمات العمر قد نطقت

فنظرت إلي كم نظرت ؟

وأنا طائر من النبض

شغالي لحبيب

جميل جدا أعجبني شِعرك ، إسمي خديجه فنانة تشكيلية وأنت؟

_ إسمي شغالي كاتب و مدرب في التنمية البشرية

شرفنا

_ لي الشرف

وهنا دخلنا في لحظات صـــمت و ما هي إلى لحظات حتى كســـر النادل حاجز الصـــمت ذاك حين قال : تفضـــل ســـيدي طلبك ، قلت له شـــكرا ونصرف.

رسمت ابتسامة مصطنعة على وجهي وقلت لخديجة : تفضلي قهوتك

أجابتني و هي في حالة شرود كنت قد لاحظتها : شكرا

_ لا شكر على واجب

أخذت خديجة منشفة ورقية وكتبت عليها : أتمنى أن يتكرر هذا اللقاء لأنه علي الانصراف الأن ، أخذت منشفة أخرى و كتبت عليها : وأن أيضا أتمنى أن يتكرر.

مرة الأيام و أنا كالعادة لا أذهب إلى ذالك المقهي سـوى في أيام الأحد و أجلس على طاولتي المعتادة كالعادة و أقرا كتابا قد إشـــتريته حينها كان بعنوان "الحب الأعمى" وما هي إلى ثوانٍ حتى شـــعرت بشـــخص يقف بقربي إختسـلت النظر ، فكانت أول مرة أرى فيها الحسـن والجمال كم صدق من قال : هي البدر حسنًا والنساءُ كواكبُ فشتان ما بين البدر والكواكب لقد فضلت حُسنًا على الناس كما فضلت على ألف شهر ليلة القدر ، صـــراحتا لقد أخذني هذا الجمال إلى مكان آخر حتى و إن كانت علامات وجهي جامدة ولا تدل على أي شيء.

_ مرحبا أيه الكاتب

_ أهلا بيكِ يا فنانتي

عندما قلتها شـــعرت خديجة ببعض الخجل وإرتســـمت علامات الحمرة على خديها.

_ تفضلي إجلسي

_ شكرا

_ لقد مر وقت على لقائنا الأخير

_ صحيح لأنني كنت مشغولة للغاية في العمل هذه الأيام

_ أي عمل ؟

_ ذالك سر و لكن سوف تعرفه غدا

_ غدا ؟

_ نعم هذه دعوة مني و أريد منك تلبيتها

_ لي الشرف في ذالك

_ إذا هذا عنواني إتصل بي عند الساعة العاشرة صباحا

_ إنشالله سأفعل

_ علي المغادرة

_ لماذا لا تنتظرين قليلا

_ إنني مستعجلة للغاية

_ إلى اللقاء إذا

_ إلى اللقاء

لقد لاحظت تلعثمها في الكلام و لكي أقول الصـراحة جمالها سـاحر لم أستطع أن أزيل عيني عنها وأعتقد بأنها قد لاحظت ذالك.

في تلك الليلة باغتني النُعاس و كأنها أول مرة أتذوق فيها طعم النوم منذ قرون ، وفي الصـباح بعد أن الإسـتيقاظ من ذالك السُـبات الجميل إتصلت بخديجة رن الهاتف مرة واحدة فسمعت ذالك الصوت العذب

_ صباح الخير يا شاعري

_ صباح النور يا فنانتي

_ كيف الأحوال عندك

_ بأفضل حال وأنتي؟

_ بخير

_ إذا ما هي المفاجئة

_ سجل لديك هذا العنوان و النلتقي عنده

_ حسنا

بعد أن اخذت العنوان ركبت ســيارتي و توجهة إلى ذالك العنوان وعندما وصلت كانت خديجة في إستقبالي أمام المعرض المكون من طابقين و معلق عليه لوحة كبيرة كُتب عليها " معرض الفني لخديجة بالهاشـم " ، ترجلت من السيارة.

_ أخيرا وصلت يا شاعري

_ نعم م يافنانتي لقد وصلت

_ ســوف آخدك في جولة داخل معرضــي الفني قبل أن يفتتح حتى تكون أول شخص يزوره

_ شكرا هذا يعني لي الكثير

تجولنا في أرجاء المعرض رأيت الكثير من اللوحات أمضــينا خمســة وأربعين دقيقة ونحن نتجول في أرجاء ذالك المعرض وفي الأخير وصــلنا إلى القاعة المكتوب عليها " القاعة الخاصة "

_ سألتها : لماذا هذه القاعة خاصة ؟

أجابتني لأنها لشخص واحد فقط و هو من لديه الحق في دخولها

_ إذا لا يمكنني دخولها

أجابتني بضحة خجولة و كلمات متلعثمة : لا ، ليس هذا ما أعنيه دعنا ندخل إليها وستفهم بنفسك

دخلنا إلى تلك القاعة فأصابتني الصدمة و قلت : هذا أنا أليس كذالك؟

_ نعم هذه القاعة لك وكل هذه الوحات رسمتها لكَ خصيصا

لم أســـتطع حينها أن أنطق بأي شـــيء كانت لوحات فنية بمتياز لقد رسمتني و كأني أنظر إلى إنعكاس صورتي

ولكن لاحظت لوحة عليها غطاء فسألتها : لماذا تغطين هذه الوحة ؟

أجابتني : لقد رسمت هذه اللوحة لشخص أحبه للغاية ولقد خطف قلبي منذ أول لحظة إلتقينا فيها

حينها صُدمت هل هي تحب شخصا آخر أم ماذا لعلها تعتبرني صديقا فقط ولذالك رسمت هذه اللوحات من أجلي.

ماهي إلى ثوان صمت حتى نزعت الغطاء عن تلك الوحة ، رأيت الرسمة و هي جالســـة على الأريكة في حفل زفاف مع شـــخص ولكن الصـــدمة كانت في ذالك الشخص إنه أنا ، نَظرت إلي وقالت بأعلى صوت : أحبكَ

ما هذا الشـعور وكأنها قامت بخطف قلبي مني لماذا نبضـاته تتسـارع إلى هذه الدرجة ؟ لم أدري ما كان يجري لي حينها ولكنني متأكد بأنه كان شعورا جميلا ؟

لم أدري كيف خرجت الكلمات من فمي و لكنني قلتها بغير وعي : وأنا أيضا أحبكِ

صدق نزار قباني عندما قال :

سأقول لك "أحبك"..

حين تنتهي كل لغات العشق القديمه

فلا يبقى للعشاق شيءٌ يقولونه.. أو يفعلونه..

عندئذ ستبدأ مهمتي..

في تغيير حجارة هذا العالم..

وفي تغيير هندسته..

شجرةً بعد شجره..

وكوكباً بعد كوكب..

وقصيدةً بعد قصيده..

سأقول لك "أحبك"..

وتضيق المسافة بين عينيك وبين دفاتري..

ويصبح الهواء الذي تتنفسينه يمر برئتي أنا..

وتصبح اليد التي تضعينها على مقعد السيارة..

هي يدي أنا..

سأقولها، عندما أصبح قادراً،

على استحضار طفولتي، وخيولي، وعساكري،

ومراكبي الورقيه..

واستعادة الزمن الأزرق معك على شواطيء بيروت..

حين كنت ترتعشين كسمكةٍ بين أصابعي..

فأغطيك، عندما تنعسين،

بشرشفٍ من نجوم الصيف..

سأقول لك "أحبك"..

وسنابل القمح حتى تنضج.. بحاجةٍ إليك..

والينابيع حتى تتفجر..

والحضارة حتى تتحضر..

والعصافير حتى تتعلم الطيران..

والفراشات حتى تتعلم الرسم..

وأنا أمارس النبوة

بحاجةٍ إليك..

سأقول لك "أحبك"..

عندما تسقط الحدود نهائياً بينك وبين القصيده..

وها أنا ذا أقولها و كأنني لم أقلها قبل هذه الحظة آلاف المرات ، أجمل شعور هو حين يحبك شخص فقط لأنه أحبك وأنت ترى الصدق في عينيه حتى و إن كنت قد فقدت الثقة في الحب فسوف تخضع لقلبك و هذا ما فعلته خديجة فقصتنا أشبه ما تكون بالخيال إن صح التعبير ، صدق أحمد شوقي عندما قال :

نَظرَةٌ فابتِسامةٌ فسلامٌ فَكَلامٌ فموعدٌ فَلِقاءُ فَلقاءٌ يكونُ مِنْهُ دواءٌ أو فِراقٌ يكون مِنهُ الداءُ

وكان نصيبي من هذا اللقاء هو الدواء.

لقد إستعدت روحي و تم ترميم باقي الحطام الذي خلفته حروب الحب داخل قلبي لقد إستعدت روحي بعد أعوام لم اعرف للحب فيها طعما ولا لوننا ، أسوء شعور قد يواجه الإنسان هو حين يفقد القدرة على الحب و لكن يشاء الله ويبعث له شخصا يخلصه من ذالك العذاب الذي يعيش فيه صحيح قد نخطئ في اختيار من نحب و لكن الله فوقنا و يرى ما في قلوبنا يرى كل تلك الأوجاع داخلنا هو يعلم مافي صدورنا و لكنه جل جلاله يلزمنا بالصبر حتى يأتينا الفرج من عنده و لقد كانت

خديجة هي تلك التي شـــاء الله أن يبعثها لي بعد مرور ســـنوات و لم تسكن فيها أي أنثى قلب هذا الذي كان بلا قلب " فلم أرى بدرا ضاحكا قبل وجهها ولن ترى بعدي ميتا يتكلم "

أن أحبك لا يعني أن يقتصر ذالك الحب فقط على الأمور التي تدور بيننا بل أن نتشارك في كل شيء حتى و إن كان يسعدنا أو يحزننا فنحن فيه معا لأننا صرنا شخصا واحد.

كنت في ذالك الصباح أغط في نوم عميق إلى أن سمعت صوت هاتفي يرن ... ، أخذت الهاتف فرأيت إســم المتصــلة كانت " فنانتي" أجبت على الإتصال.

ـ صباح الخير

ـ صباح النور كيف الحال؟

بدت على نبرة صــوتها علامات الحزن و الانكســار التي أعرفها أكثر من نفسي ، فسألتها بقلق لم أشعر به من قبل.

ـ ماذا حصل لكي ؟ هل أنتِ بخير ؟؟

ـ أجابتني وهي تبكي أريد أن أقابلك عند المقهي المعتاد فالأمر مهم للغاية.

ـ إذا نلتقي بعد ثلاثين دقيقة

أنهيت الإتصال و نظرت إلى الساعة الوقت العاشرة والربع فأسرعت في الإستحمام و ارتديت ثيابي ركبت السيارة و أسرعت إلى المقهى لقد

وصلت قبل الموعد بعشر دقائق فطلبت القهوة وبعض الدونالت ماهي إلى خمس دقائق مضت إلى أن رأيتها آتية و بسرعة جَلست أمامي.

_ آسفة إذا كنت قد أزعجتك ولكن الأمر مهم

_ هل نسيتي أنا أنتِ وأنتِ أنا

_ إبتسمت وقالت لا لم أنسى

_ إذا ماهو الأمر المهم الذي تريدين إخباري به

_ بدأت في البكاء وقالت : سوف أقوم بعملية من أجل إستأصال الورم و نسبة نجاحها هي خمسة في المئة ، فلذالك أردت إخبارك كي تعرف قبل أن أموت.

_ بدون وعي وكأني لم أتحكم حينها بكلماتي : أنصتي إلي جيدا سوف تنجح العملية ولن يصيبكِ أي شيء هل سمعتي ذالك لن يحصل أبدا سوف تكونين بخير وإنشالله

بعد أن أنهيت كلامي بدأت خديجة في البكاء وقالت : إلى هذه الدرجة تحبني .

فأجبتها : لا ، بل أنا أعشقكِ

فضحكة ضحكتا إهتز لها فؤادي و كياني ، كم هي جميلة في فرحها وفي حزنها و كأن الجمال يُختصر حين يذكر إسمها هل السبب هو أنني أحبها لا أعتقد فأنا لا أحبها بل أعشقها.

رجعت في ذالك اليوم إلى المنزل بعد أن اخبرتني بأن عمليتها بعد يومين وأعطتني رقم بنت خالها لكي أتواصل معها .

كنت على وشــك الدخول إلى القاعة لدي اليوم محاضــرة عن تطوير الذات ولكن قبل دخولي إليها إتصـــلت بخديجة ولكن هاتفها كان مغلقا فتذكرت بأن علي الإتصال ببنت خالها و فعلت ، رن الهاتف...

_ ألو نعم

_ مرحبا كيف الحال

_ بخير والحمد لله

_ هل بإمكاني التحدث مع خديجة

_ دقيقة من فضلكَ

_ على راحتك

_ مرحبا شاعري

_ مرحبا فنانتي كيف حالكِ

_ مادمتَ بخير فأنا بخير

_ تذكري بأنني أحبكِ هل سمعتي

_ أنا أنتَ

_ وأنتِ أنا

_ يا رفيق دربي لن أنسى

_ علي الذهاب الأن ولكن تذكري بأنني أحبكِ وسأبقى دائما كذالك

_ وأنا أيضا أحبكَ

_ إلى اللقاء

_ إلى اللقاء

وهنا إنتهت المكالمة فأخذت نفسا عميقا و دخلت إلى القاعة ، توجهة إلى المسرح كان الجميع بانتظاري لكي أبدا.

بعض الناس يقولون القناعة كنز لا يفنى ولكن الصراحة أولئك يمتلكون كسلا لا يفنى فهم يغطون على كسلهم بالقناعة والكرامة ، نحن عندما نسعى إلى النجاح لا يهمنا إرضاء الناس ولا تهمنا كل تلك الإنتقاداة التي نتلقاها من الناس عن أفكارنا و طموحاتنا مادمنا نؤمن و نسعى و نكافح و في الختام سوف نصل إلى النجاح و حينها لا تتعجبو إن كان الذين عارضوكم في الماضي يهنئونكم في الحاضر على النجاح الذي وصلتم إليه و لكن هل كانوا معكم عند لحظة الضعف ؟ لا بالتأكيد لأنهم هم من كانوا يشكلون ذالك الضعف و لكن إبتسم لهم وشكرهم فهذا طبع عند البشرية ومن ترك أحلامه تكون فريسة سهلة الإنتقاداة فقد حكم عليها بالموت ، شباب نحن هم المستقبل وهو بين أيدينا كل واحد منا يملك مجالا يعلم بأنه يبدع فيه كل واحد منا يملك القدرة ما ينقصنا هو تطوير الذات و صقل المهارات

و الإيمان بالقدرات ، شـــباب دعونا نرتقي بأفكارنا من أجل تحقيق الأحلامنا و شكرا .

وهنا صعد المقدم العام للدورة التكوينية وقال : شكرا شيغالي لحبيب وأرجكم صفقو له وشكرا مرة أخرى

ودعت الجمهور بحرارة و أخذت مع بعضهم الصور و التي كانت تعني لهم الكثير ، بعد خروجي من القاعة توجهت إلى ســـيارتي و فتحت الباب جلســـت قليلا و أخدت هاتفي و نظرت إلى الوقت و قلت في نفسي : علي الإتصال والإطمأننا على عشيقتي.

وعلى الفور و بدون تفكير مُطول اتصلت على بنت خالها ...

_ ألو مرحبا معكِ شيغالي لحبيب

_ مرحبا أهلا وسهلا بك

_ طمنيني كيف جرت عملية خديجة

_ تنفس جيدا ، لدي أخبار سيئة

حينها إنقطعت حواسي كلها وكأني تخدرت فقلت: أرجوكي لا تقولي بأنها غادرت

_ أصـــغي إلى جيدا ، خديجة بخير ولكن الورم هو من غادر لقد تم إستأصاله بنجاح

وكأني تلقيت أجمل هدية في حياتي و قلت بسـرعة : شـكرا ، هذا خبر مفرح للغاية علي الذهاب الأن.

شـغلت محرك السـيارة و توجهة بسـرعة إلى المشـفى الذي كانت فيه خديجه و صـلت إلى الغرفة ج ٥ و التي تقيم بها خديجة كانت أمها معها في الغرفة و أبوها في الخارج يتحدث مع رجل من الظاهر بأنه فرد من عائلتها لأنه يشـبه والدها للغاية ، بسـرعة ألقيت عليهم السلام.

_ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

_ كيف الحال يا عم

_ بخير والحمد لله

_ هل بإمكاني مقابلة الخالة أم خديجة

أجابني حينها و علامات الإسـتفهام على وجهه : هي الأن مع خديجة ولكن دعني أنده لها من أجلك

_ جزية بألف خير يا عم

ماهي إلى ثوان حتى لمحة سيدة في العقد الرابع من العمر تقترب مني وألقت علي السلام

_ وعليكم السـلام يا خالة ، آسـف على الإزعاج و لكن أرجوكي أن تعطي هذا المُغلف لخديجه عندما تستيقظ

بعد أن أعطيتها المُغلف انصرفت و ركبت السيارة متوجها إلى البيت.

بعد مرور أسـبوع على العملية التي قامت بها خديجة و في مشـفى الوطني و بالتحديد في الغرفة ج٥ إستيقظت خديجة و صارت الأن بكامل قدراتها العقلية و الجسـدية فهي الأن تتماثل للشـفاء ، دخلت أمها الغرفة بابتسامتها العذبة فقالت : كيف حال أميرتي

_ بخير يا ست الحبايب

_ نسيت أن أعطيكِ هذا المُغلف لقد أحضره شخص قبل أسبوع و قال بأنه يخصكِ ، سوف أدعكِ الأن لتأخذي راحتكِ يا بنتي فأنا ذاهبة قليلا

_ دمتي لي يا أمي

_ وأنت أيضا يا صغيرتي إلى اللقاء

بعد أن صـارت خديجة لوحدها في الغرفة قررت بأن تفتح المُغلف الذي لم يكن عليه أي شـيء يدل على المُرسـل مازدا من حيرتها ، عندما فتحت المُغلق وجدت داخله رسالة

إلى فنانتي (خديجه بالهاشم)

"قبل كل شـيء أريد أن تعرفي مدى سـعادتي بنجاح العملية التي قمتي بها ، و أريد ىن أقول لكِ شـيئا و هو أنني أحبكِ و علي أن أصـارحكِ بشـيء أنتِ لسـت أول فتاة أحبها في حياتي ولكنكِ أول فتاة أعشـقها في حياتي و لذالك هل تقبليننني رفيقا لدربكِ مدى الحياة.

الكلمات لم تسـعفني حتى أعبر عن كل ما بخاطري و لكن يكفيني أني قد كتبت هذه الرسالة بكل ما أملك من مشاعر صادقة."

من شغالي لحبيب

هذه الرسـالة حركة في خديجة إعصـارا من المشـاعر و الاحاسـيس و بدون تفكير أخدت الهاتف الذي بقربها وإتصلت بشيغالي

_ ألو مرحبا يا رفيق دربي

_ مرحبا يا رفيقة

_ لقد قرأت الرسالة وا

في هذه اللحظة إرتسـمت علامات الخجل على وجه خديجه و أكملت قائلة : أنا موافقة ما دامت عائلتي موافقة

قلت وكأني غير مصدق لما سمعت : أنتي لا تمزحين أليس كذالك

أجابتني بصوتها العذب الذي يسكن أعماق الفؤاد : لا يا رفيق دربي أنا جادة

وهنا دار حديث طويل بيننا وفي الأخير اتفقنا أن أتقدم لخطبتها من أهلها بعد شهر.

بعد أن إنقضـت أربعة أشـهر على الخطوبة ، وافق أهل خديجه و اليوم هو سـوف نقيم حفل الزفاف وأخيرا بعد خمسـة أشـهر هذه هي الحظة التي سوف تتغير فيها حياتي إلى الأفضل بأذن الله.

في مكان آخر كان ذالك الشـاب أمام طاولة يكتب بكل شـغف على ضوء مصباح ضعيف للغاية.

.... يتبع

بإمكانكم التواصل مع الكاتب عبر :

Insta : chi__ghally

Facebook : chighally lehbeïb

Gmail : Chighallylehbib55@gmail.com

Twitter : chighally lehbeïb